

دلالات آيات الصفات عند ابن تيمية وعلها

THE MEANINGS AND REASONS IN THE VERSES OF THE ATTRIBUTES : IBNU TAIMIYYAH'S VIEW

Matorhe Malee
maleemannan@gmail.com

Munif Zarirruddin Fikri Nordin
munif@uum.edu.my
Universiti Utara Malaysia

Abstract

Semantics is one of the major elements of modern linguistic in analyzing various types of discourse, such as religion, politics, social, etc. It is also used to the verses of the attributes of Allah which in the Qur'an. In Islamic tradition Ibn Taimiyyah has applied his semantic approach in his interpretation of this kind of verses. The aim of study is to analyze the meanings and reasons in his analysis. Three attributes' verses were chosen from his book entitled *Majmuk al-Fatawa* which he applied the approach. We found that Ibn Taimiyyah adopted a specific rule, namely (i.e Isbat إثبات) to analyze the meanings in the verses.

Key words: meanings and reasons, the verses of the attributes, Ibnu Taymiyyah

2017 GBSE Journal

ملخص البحث

يعد علم الدلالة من أهم الدراسات اللغوية الحديثة في تحليل جل أنواع الخطاب سواء ما كان منها دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا أو غير ذلك ، ومن ذلك نسلط الضوء على آيات الصفات المتعلقة بالله عزوجل والتي وردت في القرآن الكريم ، مستصحبين في ذلك بتوجيهات ابن تيمية. ويأتي هذا البحث بناء على مشكلة تكمن في مخالفة ابن تيمية في توجيه دلالاته لآيات الصفات مع علماء عصره . كما يهدف هذا البحث إلى تعريف دلالات آيات الصفات في القرآن الكريم عند ابن تيمية وعللها، حيث يقول أنها آيات محكمات ، ويفهم منه المراد بمجرد سياقها ، فهي لا تحتاج إلى بيان آخر لوضوحها وصراحة دلالتها على الصفات، كما أنها داخلة في الحكم العام الذي وصف الله تعالى به كتابه في قوله تعالى : " الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ " [هود : 1] ووجه دلالتها : أنه حكم على آياته كلها بالإحكام ، ومنها آيات الصفات ، كما قال تعالى : " الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ " [يونس : 1] ، ويعتمد هذا البحث على منهج التحليلي في الدراسة ، مستأنسا بمنهج ابن تيمية في إثبات ألفاظ الصفات الموقوفة على ورودها في كتاب الله تعالى، ونأمل من خلال ذلك الوصول للنتائج التالية : أ- تقعيد ابن تيمية في تحليل الدلالة في آيات الصفات المتعلق بالله عزوجل لقواعد خاصة بمنهجه ب- دلل ابن تيمية بدلالات لغوية وأحيانا يستعمل الدلالة العرفية ج- نهج ابن تيمية منهج الإثبات والحقيقة كما أثبتته الله تعالى لنفسه وأحيانا يخرج عن هذا المنهج .

الكلمات المفتاحية : دلالات، آيات الصفات، ابن تيمية

مقدمة

إن دلالات الألفاظ عموما لها دور كبير في مجتمع الأنساني خيره وشره ، لأنها وسيلة للتفاهم والمعاشة فيما بين أبنائه ، وكذلك لدلالات آيات القرآن الكريم أكبر دور في توجيه المجتمع ، ليتحقق خيرية الأمة على الإطلاق. ومن تلك الدلالات ما يوحى ظاهره بتشبيه الخالق سبحانه وتعالى بمخلوقاته في بعض آيات الصفات التي وردت في كتابه العزيز، ومن ذلك قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى " (طه : 5) ، وقوله تعالى : " بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء " (المائدة : 64) ، وقوله تعالى : " ونحن أقرب إليك من حبل الوريد " (ق : 16) ، إلى غير ذلك .

فإن دلالات آيات الصفات عزوجل المذكورة اختلفت في توجيهها وتفسيرها بين العلماء، من أجل ذلك توجه هذا البحث عنايته إلى المدلولات وعللها اللآتي يستدل ابن تيمية، نظرا إلى أنه مغاير في منهجه لما يدلل السابقون له ، وهذا الموضوع جدير بالبحث والتنقيب.

خلفية البحث

في القرن الثامن الهجري تربع ابن تيمية على عرش العلم والمعرفة وتصدر بالفتوي والتوجيهات في كل ميادين العلم والمعرفة، ووضع ضوابط واصطلاح بمصطلحات جديدة غير مألوقة من قبل، ونادي بالعودة إلى مافهمه السلف وانتقد آراء الفلاسفة والمتكلمين والأصوليين مع تصدى به بكل من يجادله في ذلك . واستمر على ذلك حتى اتفق العلماء والأمراء بسجنه في مصر بسبب فتاويه وتوجيهاته المخالفة فيما اتفق عليه العلماء في أكثر من ستين مسألة، منها توجيهه لآيات صفات الله عزوجل. وكذا انقسم أناس تجاهه إلى فريقين: منهم من رفعوه حتى جعلوه مجدداً وشيخاً للإسلام، ومنهم من خطأوه حتى يقولون إنه ضال ومجسم . ولا يزال هذا الانقسام قائماً فيمن يأتي بعده من الأجيال المتلاحقة حتى عصرنا المعاصر.

أسئلة البحث

- 1- ما هي آيات صفات الله عزوجل في القرآن الكريم؟
- 2- ما دلالة آيات صفات الله عزوجل في القرآن الكريم التي وجهها ابن تيمية؟
- 3- بماذا يؤيد ابن تيمية توجيهاته في الاستدلال؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى :

- 1- تعريف دلالات آيات صفات الله عزوجل في القرآن الكريم عند ابن تيمية
- 2- تعريف الأدلة التي اعتمد عليها عندما وجه تلك الآيات
- 3- تعريف العلل التي يعلل بها ابن تيمية

أهمية البحث

من أهم ما يتصل هذا البحث :

- 1- إثراء مكتبة الدراسات اللغوية
- 2- كشف دلالات آيات الصفات عند ابن تيمية
- 3- عرض وجه الاستدلال الذي استدل به ابن تيمية

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على منهج التحليلي في الدراسة لآيات الصفات المتعلقة بالله عزوجل والتي وردت في القرآن الكريم على ما وجهه ابن تيمية مؤيدا بعقل لغوية وغير لغوية. ويختار الباحث بعض آيات الصفات الله عزوجل كمادة للبحث على سبيل المثال لا للحصر، ثم يحلل تلك الآيات تحليلا لغويا دلاليا مستأنسا بمنهج ابن تيمية في توجيه نصوص الصفات التي وجه بها السلف مدلولاتها ومعانيها، وإثبات ألفاظ الصفات الموقوفة على ورودها في كتاب الله عزوجل.

ولذلك يتبع الباحث آراءه في ثنايا مؤلفاته، مثل مجموع الفتاوي، والفتوي الحموية الكبرى، ودرء تعارض العقل والنقل، وشرح حديث النزول، وغير ذلك. ثم ينهي الباحث هذا البحث بالنتائج المرجوة ويختتم بالمصادر والمراجع.

مادة البحث

هذه المواد تتضمن آيات صفات الله عزوجل التي وردت في القرآن الكريم، كقوله تعالى: "الرحمن على العرش استوي" (طه: 5)، وقوله تعالى: "بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء" (المائدة: 64)، وقوله سبحانه: "ونحن أقرب إليكم من حبل الوريد" (ق: 16). لقد خط ابن تيمية خطوطا عريضا في توجيه دلالات تلك الصفات، فيقول: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. فلا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين (مجموع الفتاوى ج 5 ص 194، 195)

ونحاول استعراض الآيات الكريمة بالشكل التالي:

1- قال تعالى: "الرحمن على العرش استوي" (طه، 5)

يقول ابن تيمية في شرح حديث النزول ص 390: "قال أهل السنة في قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوي"، الاستواء من الله على عرشه المجيد على حقيقة لا على مجاز، واستدلوا بقوله تعالى: فإذا استويت أنت ومن معك في الفلك". وقال في ص 232: وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتهم أنه لا يزال على العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا ينزل أمره ويكون ويكون العرش فوقه. وفي ص 318: الاستواء فعل فعله في العرش فصار مستويا على العرش. ويقول يقول: "أَنَّهُ يَتَّصَمَّنُ الْإِسْتِوَاءَ عَلُوَ الرَّبِّ عَلَى عَرْشِهِ وَارْتِفَاعُهُ عَلَيْهِ كَمَا فَسَّرَهُ بِذَلِكَ السَّلْفُ قَبْلَهُمْ وَهَذَا مَعْنَى مَعْرُوفٍ مِنَ اللَّفْظِ لَا يُحْتَمَلُ فِي اللَّغَةِ غَيْرُهُ، وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ. وَمَنْ قَالَ: الْإِسْتِوَاءُ لَهُ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ فَقَدْ أَجْمَلَ كَلَامَهُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: اسْتَوَى فَقَطُّ. وَلَا يَصِلُونَهُ بِحَرْفٍ وَهَذَا لَهُ مَعْنَى. وَيَقُولُونَ: اسْتَوَى عَلَى كَذَا وَلَهُ مَعْنَى وَإِسْتَوَى إِلَى كَذَا وَلَهُ مَعْنَى وَإِسْتَوَى مَعَ كَذَا وَلَهُ مَعْنَى فَنَتَنَوَّعُ مَعَانِيَهُ بِحَسَبِ صَلَاتِهِ (تفسير سورة الإخلاص ص 108) ويقول: أن الله سبحانه بذاته فوق العرش (بيان تلبيس الجهمية ج 2 ص 38).

ويعلل ذلك بقوله: وَلَوْ كَانَتْ أَسْمَاءُ اللَّهِ وَصِفَاتُهُ مَجَازًا يَصِحُّ نَفْيُهَا عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ؛ لَكَانَ يَجُوزُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِحَيٍّ وَلَا عَلِيمٍ وَلَا قَدِيرٍ وَلَا سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ وَلَا يُحِبُّهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُ وَلَا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ؛ وَنَحْوَ ذَلِكَ

(مجموعة الفتاوي ج 5 ص 199) يقول : وَبِاللَّهِ تَعَالَى اسْتِوَاءٌ عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةٌ وَلِلْعَبْدِ اسْتِوَاءٌ عَلَى الْفُلْكِ حَقِيقَةٌ ؛ وَلَيْسَ اسْتِوَاءُ الْخَالِقِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى شَيْءٍ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ بَلْ هُوَ الْغَنِيُّ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَحَمَلَتْهُ بِقُدْرَتِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا . فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قَوْلَ الْأَيْمَةِ : إِنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةٌ يَفْتَضِي أَنْ يَكُونَ اسْتِوَاؤُهُ مِثْلَ اسْتِوَاءِ الْعَبْدِ عَلَى الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ لَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ : إِنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمٌ حَقِيقَةٌ وَسَمْعٌ حَقِيقَةٌ وَبَصَرٌ حَقِيقَةٌ وَكَلَامٌ حَقِيقَةٌ يَفْتَضِي أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَكَلَامُهُ مِثْلَ الْمَخْلُوقِينَ وَسَمْعِهِمْ وَبَصَرِهِمْ وَكَلَامِهِمْ " ، وفي الفتوي الحموية الكبرى ص 250: إن الله معنا حقيقة وفوق العرش حقيقة .

التحليل الدلالي

إن لفظ " الاستواء " عند ابن تيمية دلالة واحدة معينة لا ثاني له ولا أكثر من ذلك ، ألا وهي دلالة حقيقية لا مجاز فيها وهي علو الرب جل وعلا على عرشه وارتفاعه عليه حقيقة، ونسب هذه الدلالة إلى سلف الأمة وأئمتهم كقول الإمام مالك : الاستواء معلوم، وكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة . واستدل بقوله تعالى : " فإذا استويت أنت ومن معك في الفلك " (المؤمنون: 28) ، حيث يقول: وَبِاللَّهِ تَعَالَى اسْتِوَاءٌ عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةٌ وَلِلْعَبْدِ اسْتِوَاءٌ عَلَى الْفُلْكِ حَقِيقَةٌ ؛ وَلَيْسَ اسْتِوَاءُ الْخَالِقِ كَاسْتِوَاءِ الْمَخْلُوقِينَ . ثم يعلل ابن تيمية ذلك : لو كانت أسماء الله وصفاته مجازا يصح نفيها على الإطلاق لكان يجوز أن الله ليس بحي ولا عليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير ولا يحبهم ولا يحبونه ولا استوي على العرش. ويعلل أيضا : أن لفظ الاستواء وحده من غير إضافة إلى أي صلات له معان متعددة ، أما إذا كان يضاف إلى حرف جر مثلا فيختص بدلالة معينة كاستواءه سبحانه وتعالى على العرش . فيسمى دلالة التخصيص.

2- قال تعالى: بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء (المائدة : 64)

يقول ابن تيمية في الرسالة المدنية ص 44-67 : ونحن نتكلم على صفة من الصفات ونجعل الكلام فيها أنموذجا يحتذى عليه، ونعبر بصفة: اليد ، وقد قال تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء، وقال تعالى لإبليس: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي... فالمفهوم من هذا الكلام: أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله... وأن يدها مبسوطتان، ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء، لأن الإعطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدها، وتركه يكون ضمنا لليد إلى العنق صار من الحقائق العرفية، إذا قيل: هو مبسوط اليد، فهم منه يد حقيقة، وكان ظاهره الجود والبخل، كما قال تعالى: ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط.. فالقائل إن زعم أنه ليس له يد من جنس أيدي المخلوقين: وأن يده ليست جارحة فهذا حق، وإن زعم أنه ليس له يد زائدة على الصفات السبع، فهو مبطل فيحتاج إلى تلك المقامات الأربعة.. فننظر فيما قدمنا:

المقام الأول: أن لفظ: اليمين - بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة، لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع كقوله: إن الإنسان لفي خسر - ولفظ الجمع في الواحد كقوله: الذين قال لهم الناس إن الناس - ولفظ الجمع في الاثنين كقوله: صغت قلوبكما - أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد فلا أصل له، لأن هذه الألفاظ عدد وهي نصوص في معناها لا يتجاوز بها، ولا يجوز أن يقال: عندي رجل، ويعني رجلين، ولا عندي رجلان، ويعني به الجنس، لأن اسم الواحد يدل على الجنس والجنس فيه شياع، وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس والجنس يحصل بحصول الواحد، فقوله: لما خلقت بيدي - لا يجوز أن يراد به القدرة، لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنتين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة، لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية... ولست تجد في كلام العرب ولا العجم - إن شاء الله تعالى - أن فصيحاً يقول: فعلت هذا بيدي، أو فلان فعل هذا بيديه، إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد والفعل وقع غيرها، وبهذا الفرق المحقق تتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة، ويتبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة.

التحليل الدلالي

إن لفظ اليد المضافة إلى الله سبحانه وتعالى دلالة حقيقية لا مجاز فيها، بمعنى: أن الله يدان حقيقتان ملائمتان بذاته تعالى، مستدلاً بالآيتين الكريميتين، قال تعالى: "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء" (المائدة: 64)، وقال تعالى لإبليس: "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي" (ص: 75). فيسمى ذلك دلالة التخصيص .

ثم يعلل ذلك بعلة :

الأولى : إن دلالة اليمين في الآيتين دلالة حقيقة ، وليست دلالة مجازية في اللغة ، لأنه لا توجد في اللغة العربية ولا في اللغة الأعجمية من يقول: فعلت هذا بيدي، أو فلان فعل هذا بيديه، إلا ويكون فعله بيديه حقيقة .

الثانية : إن اليمين بالتثنية ليس مرادفيها القدرة - كما يقولون-، لأن القدرة صفة واحدة، ولا يرد في اللغة أن يعبر بالاثنتين عن الواحد، ولا يرد أيضاً أن يراد به النعمة، لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية. هذاما أفهمه من كلام ابن تيمية .

الثالثة : إن لفظ العدد نص في معناه لا يتجاوز به، فلا يقال: عندي رجل، ويعني رجلين، ولا يقال: عندي رجلان، ويعني به الجنس، لأن اسم الواحد يدل على الجنس والجنس يفيد العموم، وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس والجنس يحصل بحصول الواحد.

الرابعة: إطلاق البسط إلى اليد يدل دلالة على الحقيقة، لأن الإعطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدها، وتركه يكون قبضاً أي: ضمناً لليد إلى العنق صار من الحقائق العرفية، إذا قيل: هو باسط اليد، فهم منه يد حقيقة، وكان ظاهره الجود والبخل،

الخامسة : دلالة اليد ليست هي جارحة في حق الله .

3- ونحن أقرب إليكم من حبل الوريد (ق: 16)

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوي ج 1 ص 148: أما قوله: " أقرب إلى الروح من حياته وأقرب إلى البصر من نظره وإلى اللسان من ريقه بقرب هو وصفه . . . وقوله: أقرب من حبل الوريد . . . فهذا ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله أحد من السلف: لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا الأئمة الأربعة وأمثالهم من أئمة المسلمين ولا الشيوخ المقتدى بهم من شيوخ المعرفة والتصوف . وليس في القرآن وصف الرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلاً بل قربه الذي في القرآن خاص لا عام؛ كقوله تعالى: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان } فهو سبحانه قريب ممن دعاه . . . وكذلك قول صالح عليه السلام { فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب } هو كقول شعيب { واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود } ومعلوم أن قوله { قريب مجيب } مقرون بالتوبة والاستغفار أراد به قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه كما أنه رحيم ودود بهم وقد قرن القريب بالمجيب . ومعلوم أنه لا يقال إنه مجيب لكل موجود وإنما الإجابة لمن سألته ودعاه فذلك قربه سبحانه وتعالى . وأسماء الله المطلقة كاسمه: السميع والبصير والغفور والشكور والمجيب والقريب لا يجب أن تتعلق بكل موجود؛ بل يتعلق كل اسم بما يناسبه واسمه العليم لما كان كل شيء يصلح أن يكون معلوماً تعلق بكل شيء . وأما قوله تعالى { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } { إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد } { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } وقوله: { فلولاً إذا بلغت الحلقوم } { وأنتم حينئذ تنظرون } { ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون } فالمراد به قربه إليه بالملائكة وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله ولكن لا تبصرون الملائكة... وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم . قال ابن أبي حاتم في " تفسيره " حدثنا أبي ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن معمر عن نوح بن ميمون المصروب عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: { وهو معكم أين ما كنتم } قال هو على العرش وعلمه معهم . . . وقال حنبل بن إسحاق في كتاب " السنة " : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما معنى قوله تعالى { وهو معكم أين ما كنتم } و { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم } إلى قوله تعالى { إلا هو معهم أين ما كانوا } قال: علمه عالم الغيب والشهادة محيط بكل شيء شاهد . علام الغيوب يعلم الغيب ربنا على العرش بلا حد ولا صفة وسع كرسيه السموات والأرض... ولفظ المعية في كتاب الله جاء عاماً كما في هاتين الآيتين وجاء خاصاً كما في قوله: { إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } وقوله: { إنني معكم أسمع وأرى } وقوله: { لا تحزن إن الله معنا } . فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شيء؛ لكان التعميم يناقض التخصص؛ فإنه قد علم أن قوله: { لا تحزن إن الله معنا } أراد به تخصيصه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار وكذلك قوله: { إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } خصهم بذلك دون الظالمين والفجار . وأيضاً فلفظ " المعية " ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى؛ كما في قوله: { محمد رسول الله والذين معه } وقوله: { فأولئك مع المؤمنين } وقوله: { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } وقوله: { وجاهدوا معكم } . ومثل هذا كثير؛ فامتنع أن يكون قوله: { وهو معكم } يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق . وأيضاً فإنه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم... وكذلك قال أبو عمرو الطلمنكي قال: ومن سأل عن قوله: { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } فاعلم أن ذلك كله على معنى العلم به والقدرة عليه والدليل من ذلك صدر الآية؛ فقال الله تعالى: { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما

توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد { لأن الله لما كان عالما بوسوسته ؛ كان أقرب إليه من حبل الوريد وحبل الوريد لا يعلم ما توسوس به النفس . ويلزم الملحد على اعتقاده أن يكون معبوده مخالطاً لدم الإنسان ولحمه وأن لا يجرد الإنسان تسمية المخلوق حتى يقول : خالق ومخلوق لأن معبوده بزعمه داخل حبل الوريد من الإنسان وخارجه فهو على قوله ممتاز به غير مبين له . قال : وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بانن من جميع خلقه وتعالى الله عن قول أهل الزيغ وعمما يقول الظالمون علوا كبيرا . قال : وكذلك الجواب في قوله فيمن يحضره الموت { ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون } أي بالعلم به والقدرة عليه إذ لا يقدرون له على حيلة ولا يدفعون عنه الموت وقد قال تعالى : { توفته رسلنا وهم لا يفرطون } وقال تعالى : { قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم } . قلت : وهكذا ذكر غير واحد من المفسرين مثل الثعلبي وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما في قوله : { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } وأما في قوله { ونحن أقرب إليه منكم } فذكر أبو الفرج القولين : إنهم الملائكة وذكره عن أبي صالح عن ابن عباس وإنه القرب بالعلم . وهؤلاء كلهم مقصودهم أنه ليس المراد أن ذات الباري جل وعلا قريبة من وريد العبد ومن الميت ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة كما في لفظ المعية ولا حاجة إلى هذا ؛ فإن المراد بقوله : { ونحن أقرب إليه منكم } أي بملائكتنا في الآيتين وهذا بخلاف لفظ المعية ؛ فإنه لم يقل : ونحن معه بل جعل نفسه هو الذي مع العباد وأخبر أنه ينبئهم يوم القيامة بما عملوا وهو نفسه الذي خلق السموات والأرض وهو نفسه الذي استوى على العرش فلا يجعل لفظ مثل لفظ مع تفريق القرآن بينهما"

التحليل الدلالي

إن لفظ القرب المضاف إلى الله عزوجل كما في الآية دلالة خاصة يدل بها السياق ، وليست عامة لكل الموجودات . وإن دلالة لفظ " نحن " إذا ذكره الله تعالى في كتابه دل على أن المراد، أنه سبحانه يفعل ذلك بحوله وقوته وبجنوده وأعوانه من الملائكة ؛ لأن صيغة " نحن " يقولها المتبوع المطاع العظيم الذي له جنود يتبعون أمره وليست طاعة المطاع كطاعة الملائكة ربهم وهو خالقهم، وربهم فهو سبحانه تعالى أعلم بهم وبأحوالهم فكان لفظ نحن هنا هو المناسب . واستدل ابن تيمية بالآيتين الكريمتين، قوله تعالى : " ونحن أقرب إليكم من حبل الوريد " (ق: 16)، وقوله : " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان " (البقرة: 186). ثم يعلل ذلك كالتالي :

1- ورود لفظ القرب في القرآن على سبيل الخصوص كقربه تعالى من الداعي ، وقرب به تعالى إلى الميت من أهله، ولكنه قريب هنا بعلمه أو ملائكته ، وليس بذاته تعالى ، لأنه على حد قول ابن تيمية " فوق العرش "، وإن كنا نحفظ على هذا القول ، حيث إنه سبحانه وتعالى لا يحويه مكان ، ولا يجري عليه زمان فهو خالق الزمان والمكان .

2- ليس المراد بالقرب في اللغة ولا في القرآن هو اختلاط الذاتين بالأخري ، كما جاء في الآية: " ونحن أقرب إليكم من حبل الوريد (ق: 16) .

3- دلالة القرب مخالفة عن دلالة المعية ، الأولى دلالة خاصة والثانية عامة .

نتائج البحث

أما النتائج التي توصل بها الباحث فكالآتي :

- 1- تطرق ابن تيمية إلى كل ميادين العلم والمعرفة وخاصة علم الدلالة
- 2- قعد ابن تيمية قواعد تحليل الدلالة لآيات الصفات المتعلقة بالله عزوجل
- 3- نهج ابن تيمية منهج الإثبات والحقيقة كما أثبت الله تعالى لنفسه وأحيانا يخرج عن هذا المنهج
- 4- دلل ابن تيمية بالدلالة اللغوية وأحيانا يستعمل الدلالة العرفية
- 5- استثناس ابن تيمية للدليل وتعميمه إلى حد الإجماع كقوله: " أجمع المسلمون على كذا"، والأمر قد يخص به بعض الصحابة أو التابعين
- 6- الدلالات الثلاثة المذكورة في الأنموذج هي دلالة التخصيص

المراجع والمصادر

- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، (1984) مصر : مكتبة الأنجلو
- ابن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية،(1426هـ) المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
- ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل، (1991) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- ابن تيمية ، الرسالة المدنية ، (1408هـ) الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع
- ابن تيمية ، شرح حديث النزول (1977) بيروت : المكتب الإسلامي
- ابن تيمية، الفتوي الحموية الكبرى ، (1998) عنيزة : دار الصميعي
- ابن تيمية ، مجموع الفتاوي ، (1995) ، المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف